

## تفسير البحر المحيط

1 \$ @ 522 @ ( سورة الكافرون ) 1 \$ مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم .

2 ( { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ \* لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ \* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ \* وَلَا أَرَاهُ أَبِدُ مَا عَبَدْتُمْ \* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ \* لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } ) 2 . { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ \* لَا أَعْبُدُ مَا عَبَدْتُمْ \* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ \* وَلَا أَرَاهُ أَبِدُ مَا عَبَدْتُمْ \* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ \* لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } .

هذه مكية في قول الجمهور . وروي عن قتادة أنها مدنية . وذكروا من أسباب نزولها أنهم قالوا له عليه الصلاة والسلام : دع ما أنت فيه ونحن نموّلك وننزوّلك من شئت من كرائمنا ، ونمـلـكـ عـلـيـنـا ؛ وإن لم تفعل هذا فلتعبد آلهتنا ونحن نعبد إلهـكـ حتى نشتـركـ ، فـحـيـثـ كانـ الخـيـرـ نـلـنـاهـ جـمـيـعـاـ . ولما كان أكثر شائئه قريشاً ، وطلبوـاـ منهـ أنـ يـعـبـدـ آـلـهـتـهـمـ سـنـةـ وـيـعـبـدـوـاـ إـلـهـهـ سـنـةـ ، أـنـزـلـ اللهـ تـعـالـىـ هـذـهـ السـوـرـةـ تـبـرـيـاـ مـنـهـمـ وـإـخـبـارـاـ لـاـ شـكـ فـيـهـ أـنـ ذـلـكـ لـاـ يـكـوـنـ . وـفـيـ قـوـلـهـ : { قـُلـ يـاـ دـلـيـلـ عـلـىـ أـنـهـ مـأـمـورـ بـذـلـكـ مـنـ عـنـدـ اللهـ } ، وـخـطاـبـهـ لـهـ لـهـ بـيـاـ أـيـهـ الـكـافـرـوـنـ فـيـ نـادـيـهـمـ ، وـمـكـانـ بـسـطـةـ أـيـديـهـمـ مـعـ ماـ فـيـ الـوـصـفـ مـنـ الـأـرـذـالـ بـهـمـ دـلـيـلـ عـلـىـ أـنـهـ مـحـرـوسـ مـنـ عـنـدـ اللهـ تـعـالـىـ لـاـ يـبـالـيـهـ بـهـمـ . وـالـكـافـرـوـنـ نـاسـ مـخـصـوصـوـنـ ، وـهـمـ الـذـيـنـ قـالـوـاـ لـهـ تـلـكـ الـمـقـاـلـةـ : الـوـلـيدـ بـنـ الـمـغـيـرـةـ ، وـالـعـاصـيـ بـنـ وـائـلـ ، وـالـأـسـوـدـ بـنـ الـمـطـلـبـ ، وـأـمـيـةـ وـأـبـيـ اـبـنـ الـخـلـفـ ، وـأـبـوـ جـهـلـ ، وـابـنـ الـحـجـاجـ وـنـظـرـاؤـهـ مـمـنـ لـمـ يـسـلـمـ ، وـوـافـيـ عـلـىـ الـكـفـرـ تـصـدـيقـاـ لـلـإـخـبـارـ فـيـ قـوـلـهـ : { وـلـاـ أـنـتـمـ عـابـدـوـنـ مـاـ أـعـبـدـ } . ولـلـمـفـسـرـيـنـ فـيـ هـذـهـ الـجـمـلـ أـقـوـالـ .

أـحـدـهـ : أـنـهـ لـلـتـوـكـيدـ . فـقـوـلـهـ : { وـلـاـ أـرـاـ عـابـدـ مـاـ عـبـدـتـ } تـوـكـيدـاـ لـقـوـلـهـ : { لـاـ أـعـبـدـ مـاـ تـعـبـدـ } ، وـقـوـلـهـ : { وـلـاـ أـنـتـمـ عـابـدـوـنـ مـاـ أـعـبـدـ } ثـانـيـاـ تـأـكـيدـ لـقـوـلـهـ : { وـلـاـ أـنـتـمـ عـابـدـوـنـ مـاـ أـعـبـدـ } أـوـلـاـ . وـالـتـوـكـيدـ فـيـ لـسـانـ الـعـرـبـ كـثـيرـ جـداـ ، وـحـكـوـاـ مـنـ ذـلـكـ نـطـمـاـ وـنـثـرـاـ مـاـ لـاـ يـكـادـ يـحـصـرـ . وـفـائـدـهـ هـذـاـ التـوـكـيدـ قـطـعـ أـطـمـاعـ الـكـفـارـ ، وـتـحـقـيقـ الـأـخـبـارـ بـمـوـافـاتـهـمـ عـلـىـ الـكـفـرـ ، وـأـنـهـمـ لـاـ يـسـلـمـوـنـ أـبـداـ .

وـالـثـانـيـ : أـنـهـ لـيـسـ لـلـتـوـكـيدـ ، وـاـخـتـلـفـوـاـ . فـقـالـ الـأـخـفـشـ : الـمـعـنـىـ لـاـ أـعـبـدـ الـسـاعـةـ مـاـ تـعـبـدـوـنـ

، ولا أنتم عابدون السنة ما أعبد ، ولا أنا عايد في المستقبل ما عيدهم ، ولا أنتم عابدون في المستقبل ما أعبد ، فزال التوكيد ، إذ قد تقييد كل جملة بزمان مغاير . .

وقال أبو مسلم : ما في الأوليين بمعنى الذي ، والمقصود المعبد . وما في الآخرين مصدرية ، أي لا أعبد عبادتكم المبنية على الشك وترك النظر ، ولا أنتم تعبدون مثل عبادتي المبنية على اليقين . وقال ابن عطية : لما كان قوله : { لَا أَعْبُدُ } محتملاً أن يراد به الآن ، ويبقى المستأنف منتظراً ما يكون فيه ، جاء البيان بقوله : { وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ } أبداً وما حييت . ثم جاء قوله : { وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } الثاني حتماً عليهم أنهم لا يؤمنون به أبداً ، كالذي كشف الغيب . فهذا كما قيل لنوح عليه السلام : { وَأَوْحَى إِلَيَّ نُوحٌ أَرْسَاهُ لَنِ يُؤْمِنَ مَنْ قَوْمَكَ إِلَّا } . أما أن هذا في معينين ، وقوم نوح عموا بذلك ، فهذا معنى الترديد الذي في السورة ، وهو بارع الفصاحة ، وليس بتكرار فقط ، بل فيه ما ذكرته ، انتهى . .

وقال الزمخشري : { لَا أَعْبُدُ } ، أريدت به العبادة فيما يستقبل ، لأن لا تدخل إلا على مضارع في معنى الاستقبال ، كما أن ما لا تدخل إلا على مضارع في معنى الحال ، والمعنى : لا أفعل في المستقبل ما تطلبوه مني من عبادة آلهتكم ، ولا أنتم فاعلون فيه